قصيدة المُعلم
بين شوقي وشندي وطوقان

موازنة ودراسة فنيـــة

د٠ صابر أحمد عبد الحافظ إبراهيم
مدرس بكلية اللغة العربية بأسيوط
قسم الأدب والنقـــد

تقـديم : بين الشعراء الثلاثة

هـذه أصوات لثلاثة شعراء ، تدور حول موضوع واحد ، وهو العلم ورسالته فى الحياة والأحياء ، ولاشك أن هـذه الأصوات صدى لتجربة شعرية نابعة من نفوس هؤلاء الشعراء الثلاثة •

فالمبدع يقدم الحقائق والتاريخ من خلال نظرة خاصة به ، وموقف تكون عنده من خلال تجربة صادقة عاشها أو تأثر بها على نحو ما •

وقصيدة المعلم عند « شوقى » لا نرى فيها تجربة صادقة وإنما هى وجهة نظر عامة حامت حول المعلم ، وجالت فى أنحاء كثيرة ، فشوقى يتحدث عن المعلم من خلال رؤيته الشعرية الخاصة به والمتأثرة بالموقف الذى دفعه إلى إنشاء قصيدته •

والدكتور الطبيب « عزت شـندى موسى » ينظر إلى الموضوع موضوع المعلم من خلال وجـدانه المفعم وبالتكريم والإجـلال للمعلم ومهنتـه •

بخلاف الشاعر « إبراهيم عبد الفتاح طوقان » فقد عاش التجربة وعانى من مشقات المهنة ، فهو معلم عرف مآسى المهنة فصـاغ قصيدته بكل مراره وألم ، وهـذه هى تجربته الشعرية ، وطوقان تبدو نظرته للمعلم من خلال الواقع العملى لمهنة التعليم ، ومن ثم بدأ شعره صورة من نفسـه التى مارست هـذا العمل ، وعرفت مشـاقه ومتـاعبه ، وما يتحمله المعلم فى سبيل الغاية التى ينشدها ، والهـدف الذى يريد تحقيقه أو يصبو إليـه •

ومن هنا وجب علينا قبل الخوض فى غمار هـذا الموضـوع أن نتعرف على أثر الحياة التى عاشها هؤلاء الشعراء فى نظرة كل منهم إلى المعلم ، لعلنا نستطيع أن نتبين من خلال هـذه النظرة سر الإتفـاق والتباين بين هؤلاء الشعراء الثلاثة •

فمن المعلوم أن شوقيا عاش حياة رفاهيـة وولد فى بيت المـلك وعولجت عيناه بذهب الخديوى ، واختير له بالطبـع صـفوة المعلمين والمثقفين علاوة على أنه وكما حـدث عن نفسـه : « عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى بجدته لأبيه « أصول أربعة فى فروع مجتمعه ، تكفله لها مصر ، كما كفلت أبويه من قبل ، على أنهـا بلادى وهى منشئى ومهادى ، ومقبرة أجدادى ، ولد بهـا لى والدان ، ولى فى ثراها أب وجدان ، وببعض تحبب إلى الرجال الأوطان »(١) •

ولد شوقى بمصر فى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠م(٢) ، فلما بلغ الرابعة أدخله أبوه فى مكتب الشيخ صالح ، ثم ألحقه بالمدرسة الثانوية ، فلما اجتازها دخل مدرسة الإدارة « الحقوق » سنة ١٨٨٥م(٣) ودرس بها سنتين ، وكان قسم الترجمة قد أنشىء بها فعدل شوقى إليه ، ولبث به سنتين أخريين ونال الشهادة النهائية •

وسمت مكانته فى عهد الخديوى عباس ، فسمى شاعر الأمير ،

---

(١) مقدمة الشوقيات بقلم شوقى ١٤ — ١٥ طبعة سنة ١٨٩٨ م •

(٢) كما يتبين من شهادة الليسانس التى نالها من جامعة باريس •

(٣) مقال أحمد زكى باشا بمجلة أبولو ديسمبر سنة ١٩٣٢ ص٣٨٢

وكان من خاصة عباس ومستشاريه ، ولما نشبت الحرب الكبرى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م أعفى من منصبه فى ديسمبر سنة ١٩١٤م ، ثم نفى من مصر إلى برشلونة مثوى له ولأسرته ، ولم يؤذن له فى العودة إلى مصر إلا فى آخر ١٩١٩م(٤) .

أما الدكتور الطبيب « عزت شندى » فالذى يبدو لنا من خلال معرفتنا بحياته فنلمس الصدق الوجدانى نابعا من خلال إيمانه الصادق بالمعلم ورسالته فى الحياة ، ولعل ذلك كان نتيجة للروح الدينية العالية التى هيمنت على فؤاده ، وجعلته يشعر بتلك المشاعر الطيبة تجاه معلمه ، فحفظه للقرآن الكريم منذ طفولته ، وتدينه الواضح من خلال مسيرة حياته الدينية والتى وضحت من خلال قراءتنا لهذه القصيدة من ديوانه « فى مواكب الحياة » وغيرها من قصائد ديوانه « مع الله ورسوله » فكل ذلك يدلنا دلالة بينة على تلك النزعة الدينية التى كان لها أثرها الفعال على جو تلك القصيدة التى نظمها لتكون رمزا لوفائه للمعلم ، فهى لمسة وفاء ، ونزعة تدين بادية عند شاعرنا « عزت شندى موسى » .

ولقد ولد شاعرنا الطبيب « عزت شندى موسى » فى عام ١٩٠٩م بقرية « أم خنان » التابعة لمركز « قويسنا » بمحافظة المنوفية(٥) .

---

(٤)أبى شوقى ـ حسين شوقى ٥٤ ، ومذكراتى فى نصف قرن . أحمد شفيق ٣/٢٥٦ .

(٥) مجلة الفيصل ـ العدد ٤٩ ـ السنة الخامسة ـ مايو ١٩٨٨م .

وهى بقعة هادئة ذات مناظر أخاذة من ريف مصرنا العزيزة ، وقد نشأ فى أسرة طيبة ميسورة الحال ، ذات تقوى ودين(٦) .

وقد شب الشاعر ، وترعرع عوده ، وكان له حسه المرهف الجياش بالمشاعر فقد كان والده ، ملجأ وملاذا للمنكوبين والملهوفين ، كما يحدثنا الشاعر عن ذلك فيقول(٧) .

ووالدى والجود من طبعه لا يسأم الإحسان عف اللسان

وجريا على عادة أهل الريف ــ غالبا ــ ألحقه والده بكتاب القرية ، فأتم الشاعر حفظ القرآن الكريم ، وهو دون العاشرة من عمره ، وكانت لهذه النشأة أثرها البين فى حياته ، وقد بدا ذلك الأثر بصورة جلية فى شعره ، حيث نراه اختص الله ورسوله ، بديوان كامل من شعره وسماه « مع الله ورسوله » .

وفى ثنايا أشعاره الأخرى نلمس أيضا أثر هــذه الحياة ، حيث يمزج فى أشعاره بين الطب والدين ، ويجعل من حواس الإنسان دليلا على قدرة الخالق المبدع عز وجل ويبدو ذلك من قوله فى قصيدته التى تحمل عنوان « صوت الشــعر فى مؤتمر الإعجــاز الطبى فى القرآن الكريم » فيقول(٨) :

---

(٦) الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ مقال « التاريخ فى سيرة أعلامه» مجلة منبر الاسلام العدد ١٠ ــ السنة ٤٦ ــ مايو ١٩٨٨م

(٧) ديوان مع الله ورسوله ــ د. عزت شندى موسى ص ٢٦٣ .

(٨) ديوان مع الله ورسوله ــ د. عزت شندى موسى ص ١٢٧ .

إن آمن العلمـــــاء كان طبيبهـم
هو أسرع العلمـــــاء للإيمـان
فلقد رأى الإعجاز فى الخلق الذى
قد صور الخـلاق فى الحيـــوان
فالكبـد يقظى حـــين أنك نائـم
وتبيت فى عمل مع المصـــــران
والدم يجرى فى العـروق مسـيرا
والقلب لا ينفك فى الخفقـــان
والعين تبصر فى نظـام معجـزا
والمخ يعقل ما ترى العينـــان
والأذن تسمع فى اتساق مذهـل
والعقل يفهم ما تعى الأذنـــان
وإذا مشيت فدون وعى قد سمعت
قدماك . كيف سعت بك القدمان ؟
قادتهما الأعصاب دون تنبـــه
أمر الإله القـاهر اليقظـــان
هـذا هو الإعجاز وهو جميعـه
قد أنزل العـــلام فى القرآن

فالألفاظ (الكبد ـ المصران ـ الدم ـ العروق ـ المخ ـ العين ـ الأذن ـ العقل ـ الأعصـاب) كلها قـد أدت دورها الطبيعى فى القصيدة ، ودلت على تعمق الشاعر فى معرفة خلق الله ، وتكشفت له أسرار من داخل أسراره .

وهكذا كانت نزعة التدين لدى شاعرنا من العوامل البـــارزة فى شعره ولذا ظل الشاعر يعيش هـــذه الحياة المفعمة بالإيمان إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة وفارق الحياة الدنيا فى فجر يوم الجمعة الموافق الثانى عشر من ربيع الثانى ١٤٠٨هـ ، الخامس عشر من ديسمبر ١٩٨٧م رحمه الله تعالى رحمة واسعة فقد جرى على لسانه :

وسوف يقول الناس قد كان صالحا
وقد عاش لم يشرك وصلى ووحـــــدا

وقد ترجم له الأستاذ الدكتور/ على على صبح فقال(٩) :

هو « الدكتور الطبيب عزت شندى موسى ، رئيس نادى شعراء العروبة له دواوين منها : « مواكب الحياة » وديوان : « رحلة العمر » وديوان : « مع الله ورسوله » الذى قدم له الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف وديوان « مع الحيوان » وتحدث عن شعره النقاد » .

أما عن شاعرنا الفلسطينى الجنسية الشاعر : « إبراهيم عبد الفتاح طوقان » فلم يكن حديثه عن المعلم مجرد ثناء ووصف يرسل على عواهنه ، أو محاسن تكال بغير حساب ، وإلا كان من الناحية النفسية كذبا وخداعا من قائله ، وكان من الناحية الفنية لغوا فارغا لا معنى له ، فهو يعبر عن وجدانه وعما استكن فى داخله ، فلم يكن قوله لمجرد مناسبة عارضـــة أمامه .

---

(٩) الأدب الاسلامى بين النظرية والتطبيق ــ د٠على على صبح ــ الجزء الثالث ط ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م رقم الايداع بدار الكتب ٩٨/٥٣٥٦ .

والشاعر « طوقان » ولد وترعرع فى مدينة نابلس بدولة فلسطين العربية وكان مولده عام ١٩٠٥م وكانت نفسه أبية ، يريد الحياة أن تكون عربية خالصة ، يفعمها الإباء ، ويغلفها الشرف ، ويتعز فيها الحق ويزهق الباطل وتترقرق حولها ينابيع الأريحية والشاعرية ، وتفيض بالبطولات والمروءات »(١٠) •

لكنها أتت الرياح بما لا تشتهى السفن فهو يريد شيئا ، والواقع شىء آخر « وفى أعماق هـذه الهوة السحيقة بين واقع « إبراهيم » وأمانيه النبيلة السامية ، تدفقت شاعريته معينا حارا يمزق أحشـاء الأرض ، وينبت من حوله الصخور ، ويرتفع إلى العلاء ••• ويرتفع ، ويستمر أبدا فى الارتفاع »(١١) •

وأسرة شاعرنا تتكون من أحمـد عبد الفتاح طوقان وشـاعرنا إبراهيم والشقيقة « فدوى » ، والدكتور « نمر » الذى قضى نحبه فى حادث طائرة والشقيقة « فدوى » لها عدة مجموعات شعرية جعلتها فى الذروة من تقدير النقاد ، وإعجابهم •

وقد تحدثت عن أخيها « إبراهيم » فى كتيب أصـدرته المكتبة العصرية فى « يافا » قبل النكبة بقليل ، وأعادت نشره « دار الشرق

---

(١٠) مقدمة ديوان ابراهيم طوقان ، دراسة تحليلية بقلم • عبداللطيف شرارة دار صادر بيروت – شعراؤنا ٩ – ص ٦ ، ٧ ، ١٠، ١٣ مع التصرف اليسير •

(١١) المرجع السـابق •

الجديد » في بيروت عام ١٩٥٥م مع ديوان إبراهيم ، وكان خير تقديم لهذا الديوان »(١٢) .

وشاعرنا إبراهيم طوقان نشأ نشأة زرعت فيه تطلعات ونزعات جاءت على النقيض من ظروف بلاده وأوضاعها ، فاحتدم الصراع بينه وبين عالمه الخارجي ، وراح يحتدم كلما تقدمت به السن ، ولم تسعفه موارده الصحية على متابعة العراك فهوى مثخنا بالآلام ، تحت وطأة داء عضال .

وهكذا عاش متعبا ، مثقلا بالهموم ، طيلة عمره ، وزاد في تعبه هذا الحس المرهف ، والفكر النير »(١٣) .

وقد تعلم « إبراهيم . أول ما تعلم في « المدرسة الرشادية الغربية » في ظل النظام التركي ، ثم انتقل إلى القدس وتعلم في مدرسة المطران ، ثم قدم « بيروت » بغية إتمام الدراسة الجامعية في الجامعة الأميركية ، وكانت سببا في اتساع آفاقه وتعميق تجاربه . وبلا مقدمات بدأ ينظم وينشر في صحف بيروت ، ويجد صدى لنظوماته الجديدة ، لم يكن يتلقاه من قبل ، بل وجد ما هو أهم من ذلك : وجد أشخاصا ينتقدونه ، ويدلونه على مواضع الإجادة فيما يقول ، ويكشفون له عن نقاط الضعف ومواطن الهزال »(١٤) .

---

(١٢) المرجع السابق .

(١٣) المرجع السابق .

(١٤) مقدمة ديوان ابراهيم ـ بتصرف ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

قضى فى الجامعة الأميركية ثلاث سنوات ، وأحب إحدى الطالبات، وعبر عن ذلك شعرا وأنهى دراسته الجامعية وعمره أربع وعشرون سنة ، ثم دخل دنيا الصحافة ، ثم توجه شطر مصر وهى نهاية مطاف ومنتهى وهواية مثقفى العرب جميعا وحتى يتم له العلاج فى أرض الكنانة التى بها مبتغى لكل من يبغى علاجا ووظيفة وذيوع صيت • ونال أغلب ما كان يتمنى الفتى •

ولكنه عاد إلى « نابلس » وأبت عليه والدته أن يرجع إلى مصر ووقف والده بجانب أمه فى ذلك ، وإذا به يجد نفسه مكرها على مراس التعليم ووظيفة المعلم التى نحن بصددها ، وهى المهنة التى زاولها قبله أكثر الشعراء من : رشيد سليم الخورى (الشاعر القروى) إلى الرصافى ، إلى سائر المحدثين(١٥) •

ولم يكن الاستقرار من نصيب إبراهيم فى نابلس ، فانتقل إلى الجامعة الأميركية فى بيروت حيث مارس مع التعليم تحقيق الكتب الشعرية القديمة مع المستشرق الدكتور/ لويس نيكل •

ثم انتقل من بيروت إلى القدس ، واشتد به الداء ، فأجرى عملية خطيرة ، ولكنه خرج منها معافى ، وعاد بعدها إلى نابلس فعمل فى البلدية ، ثم فى إذاعة القدس مراقبا للقسم العربى •

وحاول الانجليز تحطيم اللغة العربية ، وجهدوا ما وسعهم إحلال العامية مكانها ، وتصدى لهم شاعر الوطنية « حافظ إبراهيم »(١٦) ،

---

(١٥) المرجع السابق •

(١٦) المرجع السابق •

وناوأهم إبراهيم طوقان فى فلسطين ، وضاق به اليهود وأعوانهم ، وبناء عليه أقيل من منصبه ، وعلمت الحكومة العراقية آنئذ بما أصابه ، فاستدعته إلى بغداد للتدريس فى دار المعلمين الريفية ، ولكن المرض عاوده ، وهو فى العراق ، ولم يمض على زواجه من الآنسة سامية عبد الهادى ثلاث سنوات فاضطر إلى الرجوع إلى مسقط رأسه ، ومنه إلى المستشفى الفرنسى فى القدس ، حيث قضى نحبه فى عام ١٩٤١م وهو فى ربيعه السادس والثلاثين ، ولقد صح فى حياة إبراهيم ما قاله شوقى :

ما بين نفرتها وبين ذبولها عمر الورود ، وأنه لقليل

وأسلوب شاعرنا « إبراهيم طوقان » يغلب عليه طابع السخرية المريرة وكما يقال الأسلوب المضحك المبكى ، فلا تلبث أن تبتسم ، وأنت حانق ، وربما أضحكك فى عرضه لبعض حالات النفس ، غير أنه لا يقصد إلى إضحاكك بمقدار ما هو « يفرج » عن نفسه كربا يكاد يخنقه حيث يقول(١٧) :

أنتم « المخلصون » للوطنية
أنتم الحاملون عبء القضية
أنتم العاملون فى غير قول
بارك الله فى الزنود القوية
و « بيان منكم » يعادل جيشا
بمعدات زحفه الحربية

---

(١٧) ديوان ابراهيم طوقان ص ٧٨ .

ما جحـدنا « أفضـالكم » غير أنا
لم نزل فى نفوسـنا أمنيـــة
فى يدينـا بقيـــة من بلاد
فاستريحوا كى لا تطير القضـــية

أرأيت إلى هـذه السخرية ؟ إنها تفجرات ألم عميق الغور ، ولكنها تظهر وكأنها قهقهات ، ثم لا تلبث أن تصب فى صمت رهيب •

أما منشأ هـذه البراعة فى إخراج الألم بهذا القالب المضحك المبكى فهـو أن شاعرنا يظـل على بعـد مما يعرض ، ولا يقترب من الحالات التى يصورها فى بيان سافر ، إلا بمقدار ، أى ما يمكنـه من فهمها ، والتقاط التفاصيل المميزة لها • وبعده ذاك نفسى أكثر مما هو مادى(١٨) •

وإليك فى هـذه الأبيات الثلاثة قصة كاملة تكشف طريقته فى تلقى أحـداث الحياة وأسلوبه الساخر فى الرد عليها(١٩) :

وطبيب رأى صحيفة وجهى شاحبا لونها وعودى نحيفا
قال : لابد من دم لك نعطيـــه نقيا ملء العروق عنيفـا
لك ما شئت يا طبيب ولكن أعطنى من دم يكون خفيفـا

أنت تحس هنا أنه « بعيد » حتى عن الألم الذى يعانيه ، ويدخل على نفسك السرور ، إذ يحدثك عن موقفه إزاء عمليـة نقل الدم إلى عروقه •

---

(١٨) مقدمة ديوان ابراهيم طوقان ص ٢٨ •
(١٩) مقدمة ديوان ابراهيم طوقان ص ٢٩ ـ ٣٠ •

وهـذه الطريقة فى تناول الأحوال المحزنة ، تشير إلى قوة نفسية خارقة وموهبة فنية أصيلة(٢٠) .

وإذا نظرنا إلى مناسبة كل قصيدة فسوف نجد أن « شوقيا » قالها المناسبة عارضة حيث إنه دعى لحفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليا وألقيت هـذه القصيدة فى هـذه المناسبة(٢١) .

ومناسبة القصيدة عند الشاعر الطبيب/ عزت شندى ، فهى لمسة وفاء وشعور صادق لمعلم هيمنت على قلبه ومشاعره ، ونزعة تدين ولكن لا نلمس فيها روح المعارضة عند شاعرنا عزت شندى للشاعر الأمير أحمد شوقى ، حيث إنه عارض « شوقيا » فى قصيدة يذكر فيها الطبيب تحت عنوان « ملائكة الرحمة »(٢٢) :

حى الطبيب ووفـــــه التـكريما
عـاش الطبيب على الزمان رحيمـا

تغفو العيون إذا مرضت وعينـــــه
تجفو الكرى حتى تعود ســـــليما

وتبيت سهرانا لأجلك إن عـــــدا
داء عليك فبت منـــه ســـــقيما

---

(٢٠) المرجـع السـابق .

(٢١) الشوقيات ١/١٤١ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٢٢) ديوان مواكب الحياة للشاعر د. عزت شندى موسى ص ١٨٦، وينظر مقال الأستاذ أحمد مصطفى حافظ « التاريخ فى سيرة أعلامه » مجلة منبر الاسلام العدد ١٠ - السنة ٤٦ - مايو ١٩٨٨م .

ثم يتحدث عن الطبيب وعن حال نفسه بالأخص فقد كان شاعرنا طبيبا وشاعرا يعامل مرضاه بكل ما تتوفر لديه من أحاسيس ورحمة وأخلاق ، عن طبع أصيل ، ونفس مؤمنة بالله وإرادته ، فالطبيب ما هو إلا أداة فى يد القدرة الإلهية ليس غير فيقول :

الدافع الداء الأليم بطبه عن ذى السقام فلا يحس أليما

إلى أن يقول :

وتراه باسم الله حارس صحة
حتى تصان من الأذى وتدوما
كل بإذن الله وهو وسيلة
والله يجعل من يشاء حكيما

أما عهد مناسبتها عند طوقان فهى صرخة وزفرة قلب مجروح حيث إنه كابدها وتأثر بها ، ولذلك حينما تقرأ القصيدة عند « طوقان » تلاحظ أنه أكره على مراس التعليم ، تجد ألما حقيقيا وراء ما يعرض ، فهو لم يكن فى حقيقته معلما ، وإنما كان شاعرا ، وقد اقترب من التعليم فى الواقع ، ولكن نفسه ظلت « بعيدة » عن العمل الذى يقوم به ، فى الحقيقة(٢٣) .

ولو نظرنا نظرة عامة للقصائد الثلاث وموضوعها يمكن القول : أنه معلوم لدى أرباب البحث العلمى أن عصرنا الحديث ، عصر الانفجار

---

(٢٣) مقدمة ديوان ابراهيم طوقان ـ دراسة تحليلية بقلم/عبداللطيف شرارة ص ٢٨ .

المصرفى ، حيث إن حجم المعـــرفة يتضاعف تضـــاعفا غير محـــدود ، ولا عجب فهو عصر العلم والثقافة والمعرفة بشتى فنونها وألوانها ، فكل ما نلمسه من جديد فى مجال العلم والمعرفة ، إنما هو ثمرة جهود تضافرت من قبل العلماء ، وتلك حقيقة واضحة لا مراء فيها أو شك ، فالأمم تسمو بعلمائها وترتقى بمفكريها وأصحاب البحث العلمى فيها وكما يقول أديبنا الحوفى (٢٤) :

فالعلم هو الباعث على وثبات الشعوب ، ونهضات الأمم ، وأيما نهضة اصطنعتها القوة التى لا تعتمد على العلم كانت كالحصن المشـــيد على دعائم من الرمال ، لا بقاء له ولا صولة ، ولا طاقة له بأول جولة » .

لهذا وغيره كان شعراء عصرنا المحـــدثون حريصين على التسلح بالعلم فى الحرب والسلم ، وكانوا كلفين بالدعوة إليه يرددونها فى كثير من المواقف ، معبرين عن مشاعرهم وأحاسيسهم المفعمة بروح العـــلم والدعوة إليـــه .

---

(٢٤) وطنية شوقى ـ دراسة أدبية تاريخية مقارنة د. أحمد محمد الحوفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٤ ص ٣٧٣ .

أحمـــد شوقى والتعليم

ومن أبرز هؤلاء الشعراء الذين تناولوا هـــذا الموضـــوع بصورة متعددة شاعر الأمراء وأمير الشعراء أحمد شوقى •

فالناظر فى ديوانه يلمس ذلك واضحا جليا ، فنراه تارة يجعل العلم وسيلة أساسية للفوز بالظفر وتحقيق المـــأمول ، وأنه سياج المـــلك ، والحامى الزائد عن المـــلك والوطن ، حيث إن العلماء بآرائهم النـــيرة وأفكارهم الســـديدة واختراعاتهم المتنوعة هم الحصن الحصين الذى يحمى البلاد من كل غادر •

نستمع إليه مثلا وهو يمدح الخديو عباس ١٩١٤م(٢٥) :

بالعلم تمتلك الدنيا ونضرتهـــا
ولا نصيب من الدنيـــا لجهـــال

والعلم يعتصم المـــلك الكبير به
كالغاب ما بين آســـاد وأشـــبال

وكذا فى قصيدته المطرية تتكلم ومطلعها عن العلم(٢٦)

يا ناشر العلم بهـــذى البـــلاد
وفقت ، نشر العلم مثل الجهـــاد

ويقول فى جعل افتتاح الجامعة المصرية القديمة ، ويقرن المـــلك بالعلم فى الجلال والقدر ، ثم يفرد العلم والتعليم بقصيدة كاملة فيقول :

---

(٢٥) الشوقيات ١/٢٢٩ مطبعة الآداب ١٨٩٨ •
(٢٦) الشـــوقيات ١/٩٥ •

العلم ، والتعليم ، وواجب المعلم(٢٧)

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف ، أو أجل من الذى
يبنى ، وينشىء أنفسا وعقولا ؟
سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته
وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم تارة
صدىء الحديد ، وتارة مصقولا
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا
وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا
فسقى الحديث وناول التنزيلا
علمت يونانا ومصر ، فزالتا
عن كل شمس ما تريد أفولا
واليوم أصبحنا بحال طفولة
فى العلم ، تلتمسانه تطفيلا

---

(٢٧) ألقيت هذه القصيدة فى حفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليا

من مشرق الأرض الشموس تظاهرت
ما بال مغربها عليه أديلا ؟(٢٨)
يا أرض ، مذ فقد المعلم نفسه
بين الشموس وبين شرفك حيلا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم
واستعذبوا فيها العذاب وبيلا
فى عالم صحب الحياة مقيدا
بالفرد ، مخزوما به ، مغلولا(٢٩)
صرعته دنيا المستبد ، كما هوت
من ضربة الشمس الرءوس ذهولا
سقراط أعطى الكأس وهى منية
شفتى محب يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهى غباوة
فأبى ، وآثر أن يموت نبيلا(٣٠)
إن الشجاعة فى القلوب كثيرة
ووجدت شجعان العقول قليلا
إن الذى خلق الحقيقة علقما
لم يخل من أهل الحقيقة جيلا
ولربما قتل الغرام رجالها
قتل الغرام ، كم استباح قتيلا

---

(٢٨) اديلا : فاقه وانتزع منه الدولة .
(٢٩) مخزوما به : مسخرا له .
(٣٠) الشوقيات ١/١٤١ .

أوكل من حامى عن الحق اقتنى
عند السواد ضغائنا وذحولا ؟(٣١)

لو كنت أعتقد الصليب وخطبه
لأقمت من صلب المسيح دليلا

أمعلمى الوادى ، وساسة نشئه
والطابعين شبابه المأمولا

والحاملين ـ إذا دعوا ليعلموا ـ
عبء الأمانة فادحا مسئولا

كانت لنا قدم إليه خفيفة
ورمت بدنلوب فكان الفيلا(٣٢)

حتى رأينا مصر تخطو إصبعا
فى العلم ، إن مشت الممالك ميلا

تلك الكفور ـ وحشوها أمية ـ
من عهد « خوفو » لم تر القنديلا

تجد الذين بنى « المسلة » جدهم
لا يحسنون لإبرة تشكيلا

ويذللون إذا أريد قيادهم
كالبهم تأنس إذ ترى التدليلا

يتلو الرجال عليهم شهواتهم
فالناجحون ألدهم ترتيلا

---

(٣١) الذحول : جمع ذحل وهو الثار .

(٣٢) دنلوب : مستشار انكليزى منيت به نظارة المعارف المصرية ، فأساء الى العلم والتعليم . الفيل : ورم يصيب الساق .

الجهل لا تحيا عليه جماعة
كيف الحياة على يدى عزريلا ؟
والله لولا ألسن وقرائح
دارت على فطن الشباب شمولا(٣٣)
وتعهدت من أربعين نفوسهم
تغزو القنوط ، وتغرس التأميلا
عرفت مواضع جدبهم ، فتتابعت
كالعين فيضا ، والغمام مسيلا
تسدى الجميل إلى البلاد ، وتستحى
من أن تكافأ بالثناء جميلا(٣٤)
ما كان دنلوب ، ولا تعليمه
عند الشدائد ، يغنيان فتيلا
ربوا على الإنصاف فتيان الحمى
تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذى يبنى الطباع قويمة
وهو الذى يبنى النفوس عدولا
ويقيم منطق كلّ أعوج منطق
ويريه رأيا فى الأمور أصيلا

---

(٣٣) الشمول : الخمر .
(٣٤) الشوقيات ١/١٤٢ .
وبينت خطأ التعليم بعد محمد ومشى الهوينا بعد اسماعيلا
هذا البيت غير موجود بالنسخة التى بين يدى ويوجد فى الشوقيات مطبعة الاستقامة القاهرة سنة ١٩٥٣ .

وإذا المعـلم لم يكن عدلا ، مشى
روح العـدالة فى الشباب ضئيلا
وإذا المعـلم سـاء لحظ بصيرة
جاءت على يده البصـائر حـولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى
ومن الغرور ، فسـمه التضـليلا
وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهـم مأتمـا وعـويلا
إنى لأعـذركم وأحسب عبئكم
من بين أعبـاء الرجـال ثقيـلا
وجـد المسـاعد غيركم ، وحرمتم
فى مصر عـون الأمهـات جليلا
وإذا النسـاء نشـأن فى أميـة
رضـع الرجـال جهـالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحيـاة ، وخلفـاه ذليـلا
فأصـاب بالدنيـا الحكيمة منهما
ويحسن تربيـة الزمان بديـلا !
إن اليتيم هـو الذى تلقى لـه
أما تخلت ، أو أبا مشـغولا
مصر إذا ما راجعت أيامهـا
لم تلق للسبت العظيم مثيلا(٣٥)

---

(٣٥) السبت العظيم : هو اليوم الذى افتتح فيه البرلمان الأول فى ١٥ مارس ١٩٢٤ .

(البرلمان) غدا يمد رواقه
ظلا على الوادى السعيد ظليلا
نرجو إذا التعليم حرك شجوه
ألا يكون على البلاد بخيلا
قل للشباب : اليوم بورك غرسكم
دنت القطوف ، وذللت تذليلا
حيو من الشهداء كل مغيب
وضعوا على أحجاره إكليلا(٣٦)
ليكون حظ الحى من شكرانكم
جما ، وحظ الميت منه جزيلا
لا يلمس الدستور فيكم روحه
حتى يرى جنديه المجهولا
ناشدتكم تلك الدماء زكية
لا تبعثوا للبرلمان جهولا
فليسألن عن الأرائك سائل
أحملن فضلا ، أم حملن فضولا ؟
إن أنت أطلعت الممثل ناقصا
لم تلق عند كماله التمثيلا
فادعو لها أهل الأمانة ، واجعلوا
لأولى البصائر منهم التفضيلا
إن المقصر قد يحول ، ولن ترى
لجهالة الطبع الغبى محيلا

---

(٣٦) الشوقيات ١/١٤٣ .

فلرب قـــول فى الرجـــال سمعتم
ثم انقضى ، فكأنه ما قيـــــلا

ولكن نصرتم بالكرامة والهـــوى
من كان عندكم هـــو المخـــذولا

كرم وصفح فى الشباب ، وطالمـــا
كرم الشـــباب شـــمائلا وميـــولا

قوموا اجمعوا شعب الأبوة ، وارفعوا
صـــوت الشباب محببـــا مقبـــولا

ما أبعـــد الغـــايات !! إلا إننى
أجـــد الثبات لكم بهن كفيـــلا

فكلوا إلى الله النجاح ، وثابروا
فالله خـــير كافلا ووكيـــلا(٣٧)

القيـــم الخلقيـــة :

ومن خلال عرضنا لقصيدة شاعرنا (شوقى) نعلم أن شوقيا كان يجل المعلم ويعظمه ويرفعه إلى مرتبة تدنو من مرتبة الرسل فلقد كان الشاعر يؤازر دعواته إلى العلم بأن الإسلام طالمـــا دعا إلى العـــلم ، وكرر الدعوة ، إذ قام على السمو بالروح وتطهير القلب ، وتربية العقل بالتفكير فى خلق السماء والأرض ، وأقام الإسلام أسسه على العقل والتفكير ، فرفع من قواعد العلم وحببه إلى النفوس .

ولقد مجد شوقى العلم والمتعلمين تمجيدا ، فما قدر المعلم فى نظـــره ؟

---

(٣٧) الشـــوقيات ١/١٤٤ .

إنه لقدر عظيم ، وبحسبه أنه يكاد يكون رسولا ، وأن الله تعالى هو المعلم الأول ، علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأنه ابتعث الأنبياء معلمين ، وليس فى الأمة أعظم من المعلم أثرا ، ولا أجل خطرا ، لأنه يبنى نفوسا وعقولا .

والمعلمون هم الذين يحملون العبء ثقيلا ، وهم هداة الأمم إلى الخير والحق ، وقادتها إلى العزة والكرامة ، لذلك قال بسمرك بعد حرب السبعين : إنما غلبنا جارتنا « يريد فرنسا » بمعلم المدرسة(٣٨) ومن هنا قال شوقى :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسا وعقولا ؟
سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الأولى
أرسلت بالتوراة موسى مرشدا
وابن البتول فعلم الانجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمدا
فسقى الحديث وناول التنزيلا

ثم يتحدث أمير الشعراء فى المقطع الثانى من القصيدة ويبين صنيع المعلم فى من يعلمهم ومهمته الصعبة المنوطة به وأنه إذا كان

---

(٣٨) وطنية شوقى د. الحوفى ص ٣٨٩ .

عزرائيل ينتزع الأرواح من الأجساد فتتحول جثثا هوامد ، فإن الجهل ينتزع من الأرواح سماتها الإنسانية ، فيئول بالجهال إلى فصائل البهم ، إذ ليس لهم من الإنسانية إلا اسمها :

الجهل لا تحيا عليـــه جماعة كيف الحياة على يدى عزريلا

وقبل هـــذا يصرخ فيقول إن الجهل يعمى الناخبين عن اختيـــار الكفء الصالح للنيـــابة ، لأنهم ينخدعون بالوعود المعسولة ، والدعايات الجوفاء والزلفى الخادعة :

تلك الكفـــور وحشوها أميـــــة
من عهـــد خوفو لم تـــر القنديلا
يتلو الرجـــال عليهم شـــهواتهم
فالناجحـــون أكثـــرهم ترتيـــــلا

وليس من سبيل للنهوض بالوطن إذا جهلت الأمهـــات ، وجعـــل الأمهات بمصر جعله يشفق على المعلمين ، لأنهم وحدهم ينهضون بأعباء التعليم ، ولا يجدون عونا من الأمهات ، والأمهات الجاهلات يرضـــعن أبناءهن جهلا وخمولا .

إنى لأعـــذركم وأحسب عبئـــكم
من بين أعبـــاء الرجـــال ثقيـــلا
وجـــد المســـاعد غيركم وحرمتم
فى مصر عون الأمهـــات جليـــــلا
وإذا النســـاء نشـــأن فى أميـــة
رضـــع الرجـــال جهـــالة وخمولا

وفى رأيه أن اليتيم ليس هو الطفل الذى مات والداه ، وإنما هو الطفل الذى لا يستطيع أبواه أن يربياه ويسهما فى تعليمه •

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة ، وخلفاه ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما
وبحسن تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذى تلقى له
أما تخلت ، أو أبا مشغولا

وكان شوقى يؤازر دعواته إلى العلم بأن الإسلام طالما دعا إلى العلم وكرر الدعوة ، إذ قام على السمو بالروح ، وتطهير القلب ، وتربية العقل بالتفكير فى خلق السماء والأرض ، وأقام الإسلام أسسه على العقل والتفكير ، فرفع من قواعد العلم وحببه إلى النفوس •

لذلك عد شوقى من مآثر الرسول عليه الصلاة والسلام أنه بعث بدين يربى العقول ، ويرفع من أقدار العلماء ، وأشاد برعاية المسلمين للعلم ورجاله ، وعلى شيوخ الأمة ونوابها أن يتداركوا التعليم فى مصر ، فينشروا المدارس فى كل مكان تظلله سماؤها :

البرلمان غدا يمد رواقه
ظلا على الوادى السعيد ظليلا
نرجو إذا التعليم حرك شجوه
ألا يكون على البلاد بخيلا

وعلى الشباب أن يسهموا فى تنوير الشعب ليتخير العلماء

الأكفاء نوابه للدفاع عن حقوقه ، حتى لا يوصم انرأى العام بأنه كالقطيع يساق ولا يقـاد :

قل للشباب : اليـوم بورك غرسـكم
دنت القطوف وذللت تذليـلا
ناشـدتكم تلك الدمـاء زكيـة
لا تبعثوا البرلمـان جهـولا
إن أنت أطلعت الممثل ناقصـا
لم تلق عنـد كماله التمثيـلا
فادعوا لهـا أهل الأمـانة واجعلوا
لأولى البصائر منهم التفضيلا(٣٩)

---

(٣٩) لم أذكر هوامش للنصوص لأننى ذكرت القصيدة بتمامها فى بداية الموضـوع .

القيم الفنية لقصيدة المعلم عنـــد شوقى

أولا : سمات الشكل والأسلوب :

١ ــ الصـــــياغة :

تتمثل الصياغة الجيدة للشعر الجيد فى اختيار الألفاظ والعبارات الموحية المعبرة والواءمة بين الألفاظ والمعانى ، وهو ما يعبر عنه بحسن التـــأليف •

ولذلك فالشاعر المجيد هو الذى تختلف ألفاظه وتتنوع باختلاف الغرض الذى يسوقه ، كما تتميز عبارته بالدقة والإحـــكام والوضوح والتلاحم بين الألفاظ والمعانى(١) •

وقد أعرب عن هـــذا صاحب الصناعتين فى قوله : « أجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معنـــاه ، ولا يستبهم مغـــزاه ، ولا يكون مكدودا مستكرها ومتوعدا متقعرا ، ويكون بريئـــا من الغثاثة ، عاريا من الرثاثة ، والكلام إذا كان لفظه غثا ، ومعرضه رثا ، كان مردودا ، ولو احتوى على أجلّ معنى وأنبله وأرفعه وأفضله »(٢) •

وقد مالت قصيدة المعلم لشاعرنا شوقى إلى السهولة والوضوح ، والسلاسة والعذوبة حتى إننا لنجد جميع العاملين فى حقول التعليم وغير

---

(١) راجع : الشعر فى عصر المـأمون ص ٢٨٧ د٠ على محمد طاب ٠

(٢) كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى ص ٦٦ مطبعة صبيح القـاهرة ٠

العاملين يتغنى بها نظرا لوضوحها وسلاستها وكيف لا ؟ وهى تدعو إلى قيمة دينية خلقية ، أو قيمة عاطفية واجتماعية ، وهى لا تخاطب فئة خاصة ، ولا تلقى فى قوم معينين ، وإنما تخاطب عامة الناس ، وتلقى بين جمهور السامعين ، فكان لزاما عليها أن تختار من العبارات أسهلها ، ومن الألفاظ أوضحها ، لتكون أقرب إلى الفهم ، وأسهل فى الحفظ ، وأقدر على التأثير •

فمن المعلوم أن البلاغة ، البيان ، والبيان يعنى الوضوح ، فكلما كان الشعر أكثر وضوحا ، كان أشد سحرا ، وليس معنى وضوح الشعر هنا ابتذاله ، وسطحيته وإسفافه ، وإنما الوضوح الروحى ، الوضوح المعجز ، وهو ما يكون به الشعر سهلا ممتنعا ، حتى يظن أن الجاهل له القدرة على مثله ، فإذا ما أراده عجز عنه •

وفى قصيدة المعلم لشاعرنا شوقى نجد أن المعانى فى ظل الألفاظ وأن اللفظ فى خدمة المعنى ومن هنا سهلت وسهل ترددها مع جميع الفئات والأعمار وشتى طبقات المثقفين •

تستمع إلى شوقى مثلا ، وهو يقدم موضوعه المعلم والتعليم فى أسلوب سهل ميسور يفهمه العامة قبل الخاصة ، ويعيه الأميون ، كما يدرك مغزاه المثقفون ، فيصل بذلك الأسلوب إلى هدفه ، ويحقق غايته المرجوة ، وأمله المنشود •

يقول شاعرنا :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذى
يبنى وينشىء أنفسا وعقولا

سبحانك اللهم خير معلم
علمت بالقلم القرون الأولى

كلمات سهلة ميسورة ، يفهمها جميع الناس ، ويعيها عامة البشر ، فهى توجيهية إرشادية ، واضحة جلية ، لا لبس فيها ، ولا غموض ولا خفاء ومظهر السهولة والوضوح كما هو واضح من خلال أبيات « شوقى »وما عرضنا من مقطوعات يبدو فى تلك الصيغ الخطابية ، القائمة على الأساليب الانشائية ، وعدم العناية بالألوان البديعية ، والأخيلة والصور الفنية إلا ما جاء سهلا غير متكلف مثل « يبنى وينشىء أنفسا وعقولا » وهذه هى الطريقة التى تتواءم مع المنهج الوعظى فى التوجيه المباشر •

وهذا وبلا شك يدل على شاعرية شاعرنا وقوة بيانه ، وخصب خياله ومتانة أسلوبه حيث وافق المقام المقال •

٢ - الخيال والصورة الشعرية :

من المعلوم والمسلم به لدى أرباب الذوق الأدبى السليم أن الخيال يمثل فى الصورة الشعرية أبرز وسيلة من وسائل أدائها وإخراجها ، وعرضها للقارىء المتذوق لأساليب الأداء الأدبى ◙

« وتختلف أغراض الشعر فيما بينها فى مقدار نصيبها من هذا الخيال ، فمنها ما يرحب ويتسع مجالها له ، ومنها ما يؤثر الواقع

والحقيقة فى أغلب أسلوب أدائه ، مع الاستعانة بالجزء اليسير منه »(٣) .

والناظر لقصيدة المعلم لشاعرنا « شوقى » يلمس أن صور الاستخدام الفنى لهذا الجانب ، قد تنوعت طبقا لتنوع الموضوع ، فمنها ما جاء فى أسلوب حقيقى لا تجاوز فيه ، وكأنه أخبار مرادة فى ذاتها ، أو للإعلام بها وتوجيه الناس إليها للإتعاظ والاعتبار كما هو الحال فى حال الجاهل والذى تخلى عنه والداه فيقول :

وإذا النساء نشأن فى أمية
رضع الرجال جهالة وخمولا

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة ، وخلفاه ذليلا

فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما
وبحسن تربية الزمان بديلا

إن اليتيم هو الذى تلقى له
أما تخلت ، أو أبا مشغولا

فهذه النماذج ومثلها كثير فى قصيدة المعلم لشاعرنا « شوقى » ، تعد صورة واقعية أرادها الشاعر للإتعاظ بها ، وتوجيه الناس إليها ، وتبصيرهم بما ينبغى عليهم أن يكونوا على بينة منه .

وقد صيغت كلها فى صور حقيقية لا تجاوز فيها إلا ما ندر مثل

---

(٣) الخيال الشعرى فى شعر الوصف عند البحترى د. طه مصطفى أبو كريم الطبعة الأولى ص ٣ .

« رضع الرجال جهالة وخمولا » وذلك لأن الحقائق فيها تغنى عن الخيالات ، فهى مؤثرة بطابعها الروحى ، الذى يبعث فى النفس المؤمنة طاقة روحية هائلة ، تدفعها إلى العمل بما يرضى الخالق ـ عز وجل ـ •

وعلى كل فالصورة عن شاعرنا واضحة قريبة وهى صورة من نفسه ، تعبر عن الواقع المحس الملموس ، وتصور فكرته عما يجيش فى نفسه ، ولذلك فهو يختار لها من الألفاظ ما يتوائم معها ، « هذا ما يدل على مدى شاعريته الفذة وروعة بيانه وبلاغته ودقة تصويره ، وعمق خياله ، فقد استطاع رسم صور فنية مجسمة مبرزا أجزاءها ومستوفيا عناصرها ودقائقها ، حتى لكأنه مصور بارع أو رسام مبدع ، بل يتفوق عليهما فى مجال التصوير ، حيث نرى صوره ، تعتمد على عناصر الحركة والألوان والظلال ، فصوره نابضة بالحياة ناطقة بالحركة »(٤) •

وهكذا تنوعت صور الاستخدام الفنى لهذا الموضوع موضوع المعلم عند شاعرنا « شوقى » فهى صور طريفة تدل على عمق الفكرة ، وروعة التصوير وإبداعه طبقا لطبيعة الموضوع ، مما يدل على أنه كان يوائم بين الغرض الشعرى وما يقتضيه ذلك الغرض من تقرير للحقائق أو إخبار بها أو توجيه الناس إليها أو لجوء إلى الصور الخيالية القريبة أو البعيدة إذا اقتضى الأمر •

٣ ـ الموسيقا والأوزان :

مما لا شك فيه أن للشعر موسيقاه المعبرة ، ورنينه المؤثر ، وجرسه المنتظم ، وذلك من شأنه أن يساعد الكلمة على النفاذ إلى

---

(٤) راجع الشعر فى عصر المأمون ص ٢٩٧ وما بعدها •

القلوب ، ويعاونها فى السيطرة على النفوس ، ويأخذ بيدها فى الانطلاق إلى الوجـــدان .

ومن هنا فانسجام كل وزن أو بحر مع مضمون الشـــعر ومعناه يمنح الشعر رونقه وجماله .

على أن الوزن وحده لا يعد كافيا لإقامة الشعر ، وإنما يســـاعد الشاعر على تحديد الطريق أمامه ، وهو يختار الألفاظ ويؤلف بينها ، ويقدم فيها أو يؤخر ويوسع لها أو يضيق ، بمـــا يوحى عن تجربته ، ويجلو مشاعره التى يعرضها فى شعره .

وقد تكون موسيقا الشعر خارجية ، تعتمد على الوزن والقافية ، أو على الجناس والازدواج ، وحسن التقسيم ، وقد تكون هـــذه الموسيقا داخلية لا تدرك ولا تعرف فى سهولة ويسر ، ولكنها تتسلل إلى القلب ، فلا يملك إلا الخضوع لها ، لروعة سحرها ، وشدة تأثيرها(٥) .

ومن ثم فإن الموسيقا الداخلية تتفق وتتواءم مع شـــعور الشاعر وحالته النفسية ، وللإيقاع دوره فى تكييف الوزن الشـــعرى ، حسب هـــذه الحالة النفسية ، فهو يشيع فى الصورة الشعرية نوعا من الاتساق والمساواة ، يتفق مع أحاسيس الشاعر وشعوره الداخلى(٦) .

---

(٥) راجع : الشكل والمضمون وتحليل النص الأدبى ، مقال د. على محمد طلب فى مجلة كليـــة البنـــات الاســـلامية بأســـيوط ، العدد الثانى ١٩٨٢ ص ١٧١ .

(٦) انظر البناء الفنى للصورة عند ابن الرومى : الدكتور /على على صبح ص ٢١٥ ط الأمانة ١٩٧٦م .

والشاعر المجيد هو الذى تتنوع لديه الموسيقا طبقا للأغراض التى يعرض لها ، كما أن الشاعر المطبوع لا يقصر وزنا على غرض معين ، بل هو الذى تمكنه مقدرته الفنية من استخدام الوزن الواحد فى كثير من الموضوعات الشعرية ، بحيث يجعل الوزن ينسجم مع الفكرة التى يسوقها ويعبر عنها •

فحقيقة الأمر فى هـذا الجانب ، مرجعها إلى الشاعر نفسه ، كما يقرر الدكتور محمد غنيمى هلال حيث يقول : « فقد يقع على البحر ذى التفاعيل الكثيرة فى حالات الحـزن ، لاتساع مقاطعـه وكلماته لأناته وشكواه ، محبا كان أو راثيا أو لملاءمة موسيقاه لأغراضـه الجـدية الرزينـة ، من فخر وحماسة ودعوة إلى قتال وما إليها ، ولهذا كانت البحور الغالبة فى الأغراض القديمة ، هى الطويل ، والكامل ، والبسيط والوافر ، وقد تنفعل النفس أو تطرب لداع مفاجىء فتلجأ إلى البحور المجزوءة ، أو إلى بحور الخفيف ، والمتقارب ، والرمل ، وليس هـذا سوى تقرير مجمل لا يقوم مقام القاعدة ، وكل بحر بعـد ذلك قالب عام يستطيع الشاعر أن يضفى عليه الصبغة التى يريد ، بما يصف فيـه من عبارات وكلمات ذات طابع خاص »(٧) •

أما الموسيقا الداخلية ، وهى التى تحمل فى ثناياها مشاعر الشاعر وأحاسيسه ولذلك فهى تعبر عن تجارب صادقة ، وأحاسيس مرهفة ، وصدق وجدانى وفنى ، مما يدل على أن معظم القصيدة كانت تتمتع

---

(٧) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال ص ٤٤١ وما بعدها دار نهضة مصر للطبع والنشر •

بتلك الموسيقا الداخلية النابعة من نفس الشاعر ، إضافة إلى الموسيقا الخارجية المتمثلة فى الأوزان والقوافى .

وهكذا نلمس هـذه الموسيقا الداخلية ، وهى تتسلل إلى قلوبنـا من خلال هـذه التى تدفعنا لمشاركة الشاعر فى مشاعره وأحاسيسه ، فنتألم كما تألم ونأسى لمـا أصيبت به الأمة ، ونحزن لذلك أشد الحزن أنظر إليه وهو يقول :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتمـا وعـويلا
إنى لأعـذركم وأحسب عبئـكم
من بين أعباء الرجال ثقيـلا
وجـد المساعد غيركم ، وحرمتم
فى مصر عون الأمهات جليـلا

والموسيقا الداخلية فى كل هـذا ، تحمل إلينا هـذه المشاعر وتلك الأحاسيس ، فتغـزو أفئـدتنا ، وتسيطر على مشـاعرنا فلا نملك الاستجابة لها ، والتسليم بهيمنتها وسحرها .

ثانيـا : المضمون الشعرى :

١ — التجـربة الشعرية :

التجربة الشعرية هى الصورة الكاملة النفسـية أو الكونية التى يصورها الشاعر حين يفكر فى أمر من الأمور تفـكيرا ينـم عن عميق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتى ، وإخـلاص فنى ، لا إلى مجرد مهارته فى صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجارى

شعور الآخرين ، لينال رضاهم ، بل إنه ليغذى شاعريته بجميع الأفكار النبيلة ، ودواعى الإيثار التى تنبعث عن الدوافع المقدسة ، وأصول المروءة النبيلة ، وتشف على جمال الطبيعة والنفس ... »(٨) .

والمحور الرئيسى للتجربة الشعرية يتمثل فى صدق هذه التجربة فالصدق فى التجربة الشعرية لازم من لوازمها ، بل هو أساسها الذى لا وجود لها دونه .

وصدق التجربة يعنى صدق الشعور والانفعال أى أن الشاعر لا يمكن أن ينجح فى عمله إلا إذا كان صادق الانفعال والإحساس بما يعبر عنه ، فهو لا يستجيب إلا لما يسيطر على وجدانه وروحه ، ويملك على نفسه كيانها(٩) .

ولا يعنى صدق التجربة أن الشاعر قد عاناها بنفسه حتى يصفها ، بل يكفى أن يكون قد لاحظها ، وعرف بفكره عناصرها وآمن بها .

وليس بالضرورة فى التجربة الشعرية فى الشعر الاجتماعى القومى الذى تندرج تحته القصيدة موضوعنا « المعلم » أن يلم الشاعر بجميع جزئيات الموضوع فى قوله ذلك لأن التجربة الشعرية تقوم أساسا على جانبين : جانب مثالى يصف فيه الشاعر مثله وأهدافه وآماله وآلامه ، والجانب الثانى : عملى ، يتقيد فيه بقيود الحياة التى يعيشها ، سواء أكانت هذه الحياة متفقة مع أهدافه أم مختلفة عنها ، ولا تناقض بين الموقفين .

---

(٨) النقد الأدبى الحديث د/ غنيمى هلال ص ٣٦٣ ط دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٩) راجع : فى النقد الأدبى الحديث د/ عبد الحميد هلال ص ٤٨ ط مطبعة الأمانة ١٩٨٣م .

ففى الجـانب الأول يتناول فى شعره ما يطمح إليـه فى آماله ويهدف إلى تحقيقه فى أعماله •

وفى الثانى : سائر تحت ظروفه وملابساته فى حياته اليومية التى يحيـاها •

ومن المعلوم عن طبيعة القلب الإنسانى ، أن يتغنى المرء بما يريد ، وبما تقصر دونه قواه ووسائله ، ولذلك يخرج من التضاد بين حيـاته فى واقعها ، وبين المثال المنشود »(١٠) •

والمتأمل فى التجربة الشعرية ، لدى شاعرنا « شوقى » وفى تلك المدة التى عاشها ونظم فيها قصيدته خاصة يلمس هـذه التجربة ، التى لها أثرها الفعال مع هـذا الانفعال ، وحاسته الفنية ، وتربية ذوقـه ، إضافة إلى امداده بالمفاهيم المفيدة والنافعة ، عن الحياة والوجود ، وما تضعه أمامه من غايات نبيلة ، ومقاصد ساقية ، ومناهج حية ناجحة تدفعه نحوها ، وتحركه إليها فهو يقول :

الجهل لا تحيـا عليـه جمـاعة
كيف الحيـــاة على يدى عزريلا ؟
والله لـــولا ألسـن وقـــرائح
دارت على فطن الشباب شمولا
وتعهدت من أربعـين نفوسـهم
تغزو القنوط ، وتغرس التأويلا

---

(١٠) راجع : الملامح العامة لنظرية الأدب الاسلامى ص ٣٠ د٠ الطاهر محمد ـ الطبعة الأولى ١٩٨٤م •

عرفت مواضع جدبهم ، فتتابعت
كالعين فيضا ، والغمام مسيلا
تسدى الجميل إلى البلاد وتستحى
من أن تكافأ بالثناء جميلا
ما كان دنلوب ، ولا تعليمه
عند الشدائد ، يغنيان فتيلا

ولاشك أن لذلك كله الأثر الكبير فى توليد المعانى والقيم فى داخل النفس لحظة احتكاكها بالعالم •

وهذه المشاعر تصلح لأن تكون ميدانا لألوان لا نهاية لها فى الفن ، وهى من الضخامة والشمول والعمق ، بحيث تخاطب الإنسان فى جميع حالاته وأجياله وبيئاته ، لأنها تخاطبه فى أعمق أعماقه ، تخاطبه من حيث هو « إنسان » لا من حيث هو قطعة من هذا الجيل أو هذه البيئة أو ذلك المكان »(١١) •

وهذه تجربة اجتماعية عاشها ولمسها شاعرنا ، حينما رأى أوضاع المعلم وأوضاع المجتمع السيئة من انتشار الجهل ويتبعه الفقر ويليه المرض فعبر عن هذه الحال ، فى صيحة قوية ، مرفوعة إلى الحاكم لمصالحة هذه الأوضاع السيئة التى أصابت فريقا من المجتمع •

ولا شك أن ذلك التصوير إنما كان نتيجة انفعاله بما شاهده فى ذلك المجتمع ، فعبر عنه تعبيرا صادقا أمينا ، فقد استطاع أن ينقل إلينا مشاعره وخواطره ، عن طريق ذلك التصوير الموحى بتلك الحال

---

(١١) منهج الفن الاسلامى للأديب ـ محمد قطب ص١٦ ط دارالشروق

البائسة ، والتعبير الفطرى ، الجارى على الطبيعة ، والبعيد عن التكلف والصنعة .

٢ ـ المعانى والأغراض :

كان الشعر ـ ولا يزال فى أى عصر ـ صورة المجتمع فى كل بيئة ، ومرآة الحياة فى كل عصر ، وسجل الأحداث فى كل زمان . ذلك لأنه فيض الخاطر ، ونبع الشعور ونبض الحس وخلجة النفس وفورة الوجدان ، ولأن الشعراء أبلغ من غيرهم من أرباب الكتابة استجابة لمظاهر الحياة ، وأسرع تجاوبا مع أحوال المجتمع ، وأشد تأثرا بأحداث البيئة ، وأعمق شعورا بأسرار الطبيعة ، وأقوى احساسا بنوازع الآمال والآلام .

ولقد كان للشعراء فى كل جيل وقبيل مكانة مرموقة ، فمنذ عصر الجاهلية والشاعر يتصدر المجتمع ، ويتحدث عن مفاخر قبيلته ، ويدون مآثرها ، ويتحدث بلسانها ، ويسجل مظاهر الحياة بكل ألوانها وأشكالها ، وبذلك كانوا يقولون « الشعر ديوان العرب »(١٢) .

وإذا كان هذا شأن الشعر والشعراء والحضارة معدومة أو محدودة فما بالك بالشعر فى العصر الحديث ، والحضارة فى أوجها والمدنية فى قمتها والطبيعة فى جلوتها وزينتها ، والثقافة متنوعة ومكفولة الجميع(١٣) .

---

(١٢) الشعر فى عصر المأمون د. على محمد طلب ص ١٣١ .

(١٣) انظر الآداب العربية فى العصر العباسى الأول ص ٨١ ومابعدها بتصرف .

ولذلك نجد شاعرنا « شوقى » يذهب بعيـدا ويحلق فى الآفاق شاخصا ببصره نحو السابقين لعلنا نستفيد ونأخذ العبرة والعظـة فيقول :

علمت يونانا ومصر فزالتـا
عن كل شمس ما تريد أفـولا
واليـوم أصبحنا بحال طفـولة
فى العـلم تلتمسانه تطفيـلا
من مشرق الأرض بشموس تظاهرت
ما بال مغربهـا عليـه أديـلا ؟
بأرض مذ فقـد المعلم نفسـه
بين الشموس وبين شرقك جيلا
ذهب الذين حموا حقيقـة علمهم
واستعذبوا فيها العذاب وبيـلا
فى عالم صـحب الحيـاة مقيدا
بالفرد ، مخـزوما به ، مغلولا
صرعته دنيـا المستبد كما هـوت
من ضربة الشمس الرؤوس ذهولا
سـقراط أعطى الكأس وهى منية
شـفتى محب يشتهى التقبيـلا
عرضوا الحيـاة عليه وهى غباوة
فأبى ، وآثر أن يموت نبيـلا
إن الشـجاعة فى القلوب كثـيرة
ووجدت شجعان العقول قليـلا

فمن المسلم به فى هـذا الجانب ، أن نرى المعانى واضحة جليـة فى أغلب القصيدة ، لأن الروح الاجتماعية هى المسيطرة ، والمهيمنة على الموضوع •

فمعانى هـذا الشعر ، كما وضح لنا ـ صورة من المجتمع الذى عايشه الشاعر والحق الذى تتقبله الأفهام والعقول والقيـم الإنسانية الرفيعة ، التى تتحلى بجمال العرض وحسن القبول •

وعلى الجملة وكما سبق أن شرحنا المعنى العام فتـأثر معـانى القصيدة لدى شاعرنا « شوقى » فى مبادئه وقيمه وروحه وأحـداثه فهو يصدر عن نفس مؤمنة بحياة المجتمع ، ومرتبطـة بالواقع الملموس ويخاطب فى أكثره أقواما مؤمنين ، فهو مرتبط بحياة الناس فى تلك المدة بل نابع من الحياة ، ونفوس الأحياء ، ومصور لها ومشارك فيها ، وصانع لكثير من أحداثها •

فها هو يصرخ ناعيا حظ التعليم فى مصر حيث إنه يحبو أو يتطفل على موائد الآخرين ، ثم يذهب بنا إلى حيث المبادىء والقيم التى يموت أصحابها من أجلها مستشهدا بـ « سقراط » وما حدث له مع قومه ويطل علينا « شوقى » ـ وكما هى طبيعته ـ ببعض الحكم والمواعظ البالغات

« إن الشـجاعة فى القلوب كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلا »

معانى واضحة تخدمها ألفاظ سهلة يفهمها عامة الناس مع جودتها وكيف لا وقد خرجت من تحت عباءة أمير الشـعراء وشـاعر الأمراء « أحمـد شوقى » •

عزت شـــندى والتعليم

القيم الخلقية فى القصـــيدة :

وإذا كان شاعرنا « شوقى » بهذه المتانة ، وإنه من أوائل شعراء الوطنية الداعين إلى العلم وتكريم أهله ، لأنه أساس من أسس الرقى والتقدم فإن هناك من الشعراء المصريين أيضا الذين تعمقت فى نفوسهم روح العلم والتعليم ، فانطلقت ألسنتهم معبرة عن مشاعرهم وأحاسيسهم نحو العلم والقائمين على أمره .

ومن هؤلاء الشعراء المبرزين الدكتور الطبيب/ عزت شندى موسى الذى تقدم التعريف به والذى كما قلت كان لنشأته القروية والدينيـــة أثرها الكبير فى شعره ، ويبدو ذلك واضحا فى قصيدته التى يثنى فيها على العلم وأهله ، حيث نراه يبدأ قصيدته بقوله(١) :

تقـــدم بإحنـــــاء وحيى المعـــلما
وكبر وعظـــم والقـــــه متحشما
وطهر ثيـــاب النسك واعمر رحابه
وطف حوله كالبيت هيمان محرما
وأقبل على الكف الطهور مقبـــلا
فحق علينا أن يحب ويلثمـــــا

---

(١) فى مواكب الحياة . د. عزت شندى موسى ـ مطبعة الهيئة العامة لشئون المطـابع الأميرية ١٤٠٩ ـ ١٩٨١ ـ القـاهرة ـ نشر المجلس الأعلى للثقـافة ص ١٩٧ .

وإن تدرك العليـاء فاذكره إنه
سبيلك للعليـا وقد كان سـلما
وإن بؤت بالشكران يوما لنعمـة
فكيف يفى الشكران من ذر أنعما
وإن لزم الولـد الوفاء لوالـد
يكن إن عدلنـا للمعـام ألزما
ويكفيه من مجـد يتوج رأسـه
قيام رسول الله فينـا معلمـا

بهذا الأسلوب الودود الذى يفيض بالعـذوبة والرقة والدماثة ، ويوحى بمدى ما انطوى عليـه قلب الشاعر من مشاعر حـانية نحو العلماء ، بدأ الشاعر قصيدته فطالب مستمعه بأن يقف وقفـة إعزاز وتبجيل محييا ومكبرا ومعظما فى حشمة ووقار ذلك المعلم ، بل يطلب منه أن يطهر ثيابه حين يقف فى محرابه دلالة على مزيد من القداسـة والتعظيم ، وهو يرى أن المعلم أهل لأن تقبل أكفه الطاهرة ، لأنه السبيل إلى العلياء والرفعة ، والسلم الذى عن طريقه يسمو الإنسان إلى المعالى والترقى فى مدارج الكمال ، وإذا كان الإنسان مطالبا بالشـكر على النعماء فكيف به لا يشكر معلمه على ما قـدم من جـزيل تلك النعم ، وإذا كان وفاء الولد لوالده من الأمور المحتمة فإن الوفاء للمعلم ألزم ، وكيف لا يكون للمعلم هـذه المكانة وهو المقتدى برسول الله ﷺ فالعلماء ورثة الأنبياء .

ثم يأتى إلى أبياته التى تأتى بعد ذلك والتى يقول فيها(٢) .

---

(٢) فى مواكب الحياة ص ١٩٨ .

إذا الشعب لم يشكر مهذب نشئه
ولم يجزه لاقى الهوان المحتما
وإن لم يكرم صانع الجيل مخلصا
فمن ذا الذى من حقه أن يكرما
وإن بات لم يرفع مبدد جهله
هو فى مهاوى الجهل لن يسلما
لئن قام طود المجد بالعلم شامخا
فبالجهل كم طود شموخ تهدما

ففى أبياته هذه يدعو الشعب جميعه لتقديم الشكر الجزيل لمهذبى الناشئة ورجال المستقبل ، فهذا واجب محتوم ، لأنه إن لم يكن ثمة إكرام لهؤلاء فمن الذى يستحق التكريم والتبجيل ، فالمعلم دون شك هو المبدد لجهل الجاهلين ، وهو البانى لطود العلم الشامخ ، ودون العلم والتعلم تهدم الصروح الشامخة وتصير أطلالا روامس ، هاوية خاوية يبكى عليها الذى يبكى على لبد حيث إن العلم يرفع بيوتا لا عماد لها ، والجهل يخفض بيت العز والكرم وهنا يلتقى الشاعران « شوقى » و « شندى » فى المعنى حيث « شوقى » يقول :

الجهل لا تحيا عليه جماعة
كيف الحياة على يدى عزريلا ؟

ثم ينتقل بنا شاعرنا « عزت شندى موسى » إلى المقطع الذى يقول فيه (٣) :

---

(٣) المرجع السابق ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

ألا كل فـذ فى البـلاد ونابه
مدين لمن أعطى الدروس وأفهما

وكل أريب أو أديب وشـاعر
أسـير لمن نمى الفنون وعلمـا

وكل غنى بالفضـائل والحجى
فقـير لمن ربحا النفوس وقومـا

وكل أمـير أو وزيـر مصـغر
أمام كبيركم للقيـاه لعثمـا

وكل طليق فى الجواء محـلق
حبيس لمن فك القيـود وحطمـا

وهكذا يتابع الشاعر « شندى » حديثه عن فضائل هؤلاء العلماء على فئات الشعب المتعددة ، فكل نابه أريب ، وكل شاعر أديب ، وكل غنى وكل أمير ووزير ، وكل من سما قدره ، وصعد إلى الجوزاء ، وسطع نجمه فى الآفاق ، حبيس لهؤلاء العلماء الذين فكوا قيـود الجهـالة ، وأناروا دياجير الظلام ، وفتحوا للجميع مصاعد العلو والرفعة والمجد والسؤدد .

ثم يعرج شاعرنا « شندى » على عطايا المعلم الجزيلة فيقول(٤) :

تعهد فـكر النشء حتى أنـاره
وقد كان وهما فى دجى الليل مظلما

---

(٤) دواكب الحياة ص ١٩٩ .

وروى بترياق المعارف موطنـــا
وغذى بزاد العلم شـــعبا وأطعما
وجاهد فى نشر العلوم مثـــابرا
ومن عقول الجيل صقلا وغنمـــا
وشـــيد بالأخلاق صرحا محصـــنا
وأسس بالفكر البنـــاء ودعمـــا

نتابع فضائل المعلم حتى لا تكاد تنتهى ، فهو الذى يتعهد فكر الناشئة ، وينير عقولهم ، وهو الذى يروى الظمأ ، ويغـــذى العقول والألباب ، يبث المعارف والعلوم ، فكم له من جهاد وكفاح فى ســـبيل صقل العقول وتبصير الأجيال وكم بنى للأخلاق من صروح شامخات ، وأقام للأفكار عمدا باسقات فأسس بالفكر البناء ودعما .

ثم يظهر بعضا من مشاعره تجاه هـــذا المعلم الفاضل فيقول(٥) :

تطل كنوز النضر إن فاه ثغـــره
ويظهر منه الدر إن قد تكامـــا
ويبدو شعاع النور من ثنى برده
وبين ثنـــــاياه إذا ما تبســـما
ويذكو نســـيم الصبح إن مر إثره
ويصفو هواء الليل إن منه حوما
وقد عاش نبراسا لكل فضـــيلة
كما عاش نبعا صافى الورد مفعما

---

(٥) المرجع السابق ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

هنا يبرز شاعرنا مدى ما انطوى عليه قلبه من مشاعر فياضة بالحب لذلك المعلم ، فتبدو صورته أمامه نضرة طيبة ، فكنوز النضر تطل إن فاه ثغره ، والدر يظهر إذا تكلم ، وشعاع النور يبدو من ثنى برده وبين ثناياه إذا ما تبسم ، ونسيم الصبح يذكو إن مر أثره ، وهواه يضفو إذا ما حام حوله ، ولا عجب فهو نبراس لكل فضيلة وأساس لكل مورد صاف ونبع ثرار بينابيع الأسرار .

وهنا يلتقى الشاعران « شوقى » و « شندى » فى هذه الفكرة وتلك الخاطرة ، وبعد النظرة فشوقى يقول فى هذا المعنى(٦) :

أمعلمى الوادى ، وساسة نشئه
والطابعين شبابه المأمولا
والحاملين ، إذا دعوا ليعلموا
عبء الأمانة فادحا مسئولا

وينتقل مرة أخرى « شوقى » فيقول(٧) :

فهو الذى يبنى الطباع قويمة
وهو الذى يبنى النفوس عدولا
ويقيم منطق كل أعوج منطق
ويريه رأيا فى الأمور أصيلا

ثم يتذكر الأيام الخوالى وعهد الصبا ومرتع الشباب فيقول شندى(٨) :

---

(٦) الشوقيات ١/١٤٢ .
(٧) السابق ١/١٤٣ .
(٨) مواكب الحياة ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

حنين يهـز القلب شوقا لعهـده
ويا ليته ما قد مضى أو تصرما
لكم أتمنى أن تعـود حـداثتى
وأرجع تلميذا يفيـد التعلما
ويبعث لى شرخ الشـباب فأنثنى
أحج بحالى الدرس إذ عدت للحمى
وأرمق من قد غاب عنا ورسمه
مقيما مع الوجدان لحما وأعظما
أرانا وقد طاف الخيال بخاطرى
جلوسا إلى مغناه نبغى التفهما
يروح ويغـدو بيننـا فى كرامة
فنعجب هل فى القوم من كان أكرما

وهو إذ يشعر بهذه المشاعر الجياشة بحبه للمعلم ، نراه يستعيد شريط ذكرياته الأولى ، ويحن إلى أيام الصـبا التى مضت وانصرمت عنه ، فيتمنى أن تعود له هـذه الأيام ، وأن يرجع تلميذا يعيد التعليم ، ويرود مجالس درسه ، التى كانت أيام شبابه ، فيرمق بناظريه هـذا المعلم الذى إن غاب عنه بجسمه فيبقى رسمه ، وإن غاب عنه بجسده فهو بروحه ومشاعره قابع فى وجـدانه .

فخيال شاعرنا مازال يطوف بمجلسه الذى كان يجلس فيـه مع رفاقه متشوقا للفهم وتلقى الدرس والعلم من أستاذه الذى كان يروح ويغدو بين طلابه ، مكرما غاية التكريم والتعظيم ، فليس ثمة من هـو أكرم منه فى نظر طلابه وعشاق درسه .

ثم ينسب الفضل لأهله وان يستحق فيقول شاعرنا «شندى»(٩) :

ويسكب فى الأفهام من فيض ذهنه
فننهل مما فاض شـــهدا وبلسما

نعيد عليـــه السؤال فى كل لحظة
فما كل من سؤل وما قد تبرما

ويألم من لم يعن فى الكد جسمه
ولكنـــه نضو العنـــا ما تألمـــا

لئن طال بى كر الزمان فحبـــه
إلى اليوم يجرى فى الجوارح بى دما

فقد كنت بالتعليم والدرس مغرما
وكنت بأســـتاذى شغوفا متيما

إنه يعلن فى هـــذه الأبيات ما للأستاذ من جميل الفضل ، فهو الذى كانت الأفهام تنسكب من ذهنه ، فينهلون من فيضها ، ويعبون من منهلها ، وهو الذى ما كل يوما أو تبرم من كثرة السؤال وإعادته ، بل كان يتألم إذا ما وجد فى تلاميذه من انصرف عن متابعته ، ولذا فهو جدير بالحب والتقدير على مر الزمان والأعوام ، وهو إلى جانب هـــذا فخور بحبه للتعلم والمعلم ، وبشغفه بالدرس والتحصيل .

ثم يبين شاعرنا « عزت شندى موسى » أن الله فى خلقه شـــئون فيقول(١٠) :

---

(٩) المرجع الســـابق ص ٢٠١ .
(١٠) مواكب الحياة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

ألا أيهـا المجهول فى الجند بيننا
لأنت شهيد الجحد والغبن والعمى
جهلت فلم تعلم وأنكرت فى الورى
وقـد آن أن يسمو سـناك وتعلما
سواك غنوا ملء الجيوب واتخموا
وعفت فلم تغنم مدى العمر مغنما
وباتوا ثراة دون جهـد تجشموا
وأنت مع الاجهاد قد بت معـدما
وغيرك ذاق الحلو دون مشـقة
وأنت على الآلام قـد ذقت علقما
وتشقى بعقل زانه الرأى والحجى
وغيرك بالعقل العقيم تنعمـا

وتجيش عاطفته نحو هـذا المعـلم الذى هو فى نظره جنـدى مجهول ، ومع هـذا فحقه مغبون ، فهو شهيد الجحد والغبن والعمى ، وإذا كان من فى الورى من يجهلون فضلك وينكرونك ، فقد آن الأوان لأن يسمو سناك ويكون معروفا بعـد أن كنت منكرا ، فأنت صـاحب العفة فى الوقت الذى كان فيـه سـواك لا هم لهـم إلا ملء الجيوب والبطون ، فغايتهم الثراء وجمع الأموال دون بذل جهد ، أو كد فكر ، بينما كانت غايتك مع الجهد والعلا أسمى وأبقى ، بل إن غيرك قد ذاق حلاوة الحياة دون مشقة ، وأنت مع كدك وقدح زناد فكرك ذقت مـر العلقم ، وأنه لمن العجب العجـاب أن يشـقى صـاحب اللب والرأى والحجى ، بينما يرى صاحب العقل العقيم منعما غاية التنعيم ورحم الله القـائل :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وأخيرا يقول شاعرنا « شندى » للمعلم أن أجرك عند الله « يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » فيقول(١١) :

إذا كنت لم تظفر بأجرك فى الدنى
فأجرك عند الله فى اللوح أبرما

هضمت زمانا لم تنل فيه رغبة
وكل أبى جاز أن يتهضما

وقاسيت ظلما طال والحر بيننا
يطيب لقوم أن يضام ويظلما

فلا تبك ما قد فات فالحظ قد وفى
ومنصف صرعى الظلم آلى وصمما

هو القائد المغوار « أنور » إذ قضى
وحق حقوق الناس طرا وأنعما

إذا سالم الأحباب يمضى سالما
وإن حارب الأعداء ينقض ضيغما

وبالعلم والإيمان قاد سفينة
إلى الشاطىء المأمون والله سلما

ولم يبق منا فى الصفوف مخلف
عن الحشد إلا قد أمد وقدما

---

(١١) السابق ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

ولم يبق فينـــا بائس أو مشرد
من القوم إلا فى الرفاهة نعما
وبث بذرو الحب بين صـــفوفنا
فلا المـــال قد قس ولا الدين قسما
وخص بكل الحب « مصرا » بما حوت
من الأهل قبطيـــا يعـــانق مســـلما

يقول شاعرنا « شندى » للمعلم إذا كانت هـــذه هى وجهة نظر من طاشت سهام فكرهم ، ولم يدركوا حقيقة وجودهم ، فإن أصحاب البصائر المدركة والعقول الواعية يدركون حقيقة الأمر ، فأجرك الذى لم تظفر به فى دنياك ، مدخر لك عند ربك ، ومسجل فى لوحك ، وإن كنت قد هضم حقك وقاسيت من الظلم ما قاسيت ، ومثلك شيمة كل أبى ، ولا بكاء على ما فات فالحظ قد واتاك ، ودولة الظلم قد ولت ولا بقـــاء لهـــا .

ثم يتجه بعـــد هـــذا إلى المدح والثناء لرجل العلم والإيمان ، وقائد نصر أكتوبر الذى دحض الظلم ، ورد الاعتداء ، فنالت مصر على يديه العزة بعـــد الذلة ، والنصر بعـــد الهزيمة ، ووحـــد الصفوف ، وجمع الكلمة وضم الشمل ، وجعل جميع فئات الشعب ، يشعر بمشاعر الغبطة والسرور .

ثم يختم قصيدته بخير ختام وهو آخر ما يبقى فى الأفهام فيقول « شندى »(١٢) :

---

(١٢) مواكب الحياة ص ٢٠٤ .

فها رسول العلم أد رسالة
أبر من التطيب شأنا وأرحما

ولا تبتئس إن قد ثلمت ولا تهن
فإن نبى الحق من قبل ويلثما

وأقسم لا يبدو عظيم على المدى
من الناس إلا كنت فى الناس أعظما

وما من عليم قام يهدى بعلمه
نهى القوم إلا كنت أهدى وأعلما

ولو بعد « طه » مرسل جاء بالهدى
لقلت عليك — الله — صلى وسلما

فى هذه الأبيات يسترسل فيرسل أنغام التقدير والتبجيل لكل معلم جاهد وناضل وتحمل من المتاعب والمشاق ما تحمل ، فى سبيل إنارة وهداية الناس ، وتلك خلال مستمدة من معلم الإنسانية الأول « محمد » ﷺ ، فكم تحمل ما تحمل فى سبيل التوجيه والتبصير والتنوير .

القيم الفنيـــة فى القصـــيدة

أولا : الألفـــاظ والأســـاليب :

سار شاعرنا على نهج أمير الشعراء « أحمد شوقى » فى أسلوب القصيدة واختيار ألفاظها بعـــد أن تمحص واستظهر كثيرا من الشعر العربى القديم والحديث وتأثر بما صقله من الشعر الرصين .

فكانت ألفاظ شعره تتسم بالجزالة والفحولة والقوة مع العذوبة والرشاقة والموائمة بين اللفظ والمعنى ، ثم فصـــاحة الكلمة وســـلامة إعرابها واشتقاقها اللغوى ، وقربها من العقل والذوق معا ولو استعرضت ألفاظ القصـــيدة لوجدتها كذلك فى الغالب مثل : بإحنـــاء ، متحشما ، طهر ثياب النسك ، هيمان محرما ، الكف الطهور ، يحب ويأثما ، سبيلك للعليا ، الشكران مجد يتوج رأسه ، الهوان المحتما ، صانع الجيل وغيرها كثير كثير فى كل بيت حتى آخر القصيدة .

وكيف لا يكون ذلك ؟ وهو صاحب الدواوين المعروفة ، والمناسب الأدبية المرموقة وإن كانت هناك بعض الهنات مثل فك الإدغام وقصر الممدود ولكنها الضرورة الشعرية التى يلجأ إليها أعاظم الشعراء .

وعلى كل فعندما نتناول الخصائص الفنية للشعر يجب أن ننبـــه إلى علاقة اللفظ بالمعنى أو علاقة الشكل بالمضمون ، فلابد أن يكون هناك تلاحم بين اللفظ والمعنى ، كما أشار ابن رشيق بقوله : اللفظ جســـم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته »(١) .

---

(١) العمدة لابن رشيق القيروانى ١٠٣/١ .

ومن هنا يمكن أن نقول أن الشاعر صاغ قصيدته صياغة قوية تمثلت فى اختيار الألفاظ الدالة ، والعبارات المعبرة ، وكان هناك حسن تأليف ، هذا من الأهمية بمكان حيث نبه عليه النقاد بقولهم : « تعد الألفاظ وتراكيبها من أهم عناصر الصياغة ، لأن الألفاظ وصورتها ودلالتها وجوها وتآلفها كافية لابداع القصيدة »(٢) .

وشاعرنا « شندى » حافظ على الأسلوب القديم ، لكنه صاغه فى أسلوب جديد يدل على شاعريته القوية ، التى استطاعت أن توفق بين ما توارثه من قديم ، ومتطلبات العصر الحديث الذى يعيش فيه ، وما أوجدته الحضارة الحديثة من تطور فى شتى أغراض الحياة الثقافية والأدبية .

ويمكن بعد ذلك أن نحدد الشكل بأنه الأسلوب الذى يصب فيه الأديب أفكاره ، فإن « الأسلوب منذ القدم كان يلحظ فى معناه ناحية شكلية خاصة هى طريقة الأداء أو طريقة التعبير التى يسلكها الأديب لتصوير ما فى نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية »(٣) .

وأسلوب شاعرنا « شندى » يتميز بجزالة الألفاظ » وقوة التعبير ، وخصوبة الخيال ، ومتانة النسج والصياغة ، ودلالة الموسيقا الشعرية على مضمون الشعر ، ونفسية الشاعر ومشاعره وأحاسيسه .

---

(٢) انظر : الشعر المعاصر فى ضوء النقد الحديث للأستاذ /مصطفى السحرتى ص ٥٧ ط المقتطف والمقطم القاهرة ١٩٤٨ .

(٣) الأسلوب للأستاذ / أحمد الشايب ص ٣١ ، الاعتماد - القاهرة ١٩٤٥ .

ومن هنا كان أسلوبه محكما ، وعباراته رشيقة ، ونظمه رائقا ، وتراكيبه رصينة ، وفطرته صادقة ، وتعبيره سليما ، وإعرابه صحيحا وتجد ذلك فى جل قصيدته « كل أريب أو أديب ، نمى الفنون وعلما ، ربى النفوس قوما ، روى بترياق المعارف ، ومن عقولَ الجيلَ صقلا وغنما، وهكذا حتى نهاية القصيدة •

ففى قصيدة شاعرنا « شندى » يتبين لنا ما تتميز به ألفاظه وعباراته من قوة ورصانة مع الوضوح والفصاحة ، فلا تكاد تشعر بكلمة عربية أو لفظ حوشى فى سياق شعره ، وإنما تراها تنساب فى سهولة ويسر كانسياب الماء فى جداوله ، فلا تعقيد فى الأسلوب ولا تكلف فى صنع المحسنات البديعية ، بل لا نكاد نحس بوجودها لأنها قليلة ، ولأنها لا تأتى بطبيعتها غير مصطنعة ولا منحوتة •

وهو مع استخدامه للألفاظ الجزلة القوية التى تعطى شعره قوة فى السبك ومتانة فى النسج ، لا يصل إلى درجة الإغراب أو الغوص على الألفاظ الحوشية إذ أن سهولة طبعه تغلب عليه ، وتحول دون وقوعه فى غموض الألفاظ الغريبة وصعوبة استخدامها ، ومع ما فى ألفاظه من جزالة وقوة نراها تتسم بالفصاحة والوضوح •

ثانيا : الصورة الأدبية والخيال :

جالَ شاعرنا « شندى » بخاطره مع القدماء فى خيالهم ، فقد استمد صوره الجزئية من الخيالَ العربى القديم والأصيلَ ، فترى التشبيهات فى قوله(٤) :

---

(٤) مواكب الحياة ١٩٧ - ٢٠٠ •

« وطف حوله كالبيت هيمان محرما » و « وقد عاش نبراسا لكل فضيلة كما عاش نبعا صافى الورد مفعما » ونجد « كذلك » كثيرا من التشبيهات والاستعارات والكنايات فى ثنايا قصيدة الشاعر » •

وللصورة الشعرية فضل كبير فى تمكين المعنى فى النفس لما فيها من توضيح المعنى وإبرازه فى صورة غالبا ما تكون محسوسة ، وكثيرا ما يرسم الشاعر المجيد فى شعره لوحات فنية رائعة ، ولا يترك فى لوحاته شيئا من أطراف الصورة إلا مسه بريشة فنان مبدع ، فصوره تفيض بالحياة وتتميز بالحركة ، والشاعر مقدرته الفنية فى مزج الصور الجزئية لتكون فى النهاية صورة كلية مجسمة رائعة التصوير بالغة التأثير •

ولقد وجد الشعراء فى هذا العصر فى الحضارة التى عاشوا فى ظلالها ينبوعا لجاجا للصور ، وأفقا فسيحا للخيال ، وأعانتهم الحضارة العقلية بأفكارهم العميقة وخيالاتهم المبدعة وصورها الفنية على أن يأتوا بكل عجيب مبهر ببراعة الوصف وبسحر روعة التصوير ، ويطير بالألباب فى مطارح الخيال »(٥) •

وهناك ارتباط وثيق بين خيال الشعراء وعاطفتهم كما هو واضح فى قصيدة شاعرنا « شندى » فقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، ومن ثم كان للخيال تأثير قوى فى النفوس والأسماع إذا كان تعبيرا عن عاطفة صادقة وانفعالات قوية •

والكلام الذى يحتوى على الخيال أروع فى النفس من الحقيقة

---

(٥) انظر : الآداب العربية فى العصر العباسى الأول ص ١٣٣ •

البحتة ، فالمجاز عند بعض النقاد أبلغ من الحقيقة ، فهو أحسن موقعا في القلوب والأسماع(٦) لما فيه من توضيح المعنى وتأكيده وإبرازه في صورة مجسمة محسوسة .

ولابد من تعاون الخيال مع العاطفة ليجنى الأدب من هذا التعاون قوة ونشاطا ونتاجا خصبا يتصل بصميم الحياة ، فإذا سار الخيال وحده دون أن تعززه العاطفة كان نتاجه كالصور الخالية من الحياة أو كالأشباح الصماء ، وإذا خلا الأدب من الخيال ضاقت دائرته ، وكان أقرب للعواطف الفردية الجزئية التي لا تأثير لها(٧) .

ثالثا : الموسيقا والأوزان :

لا شك في أن الموسيقا الشعرية تتفاعل مع الألفاظ والعبارات فتعطي السامع الانطباع الشعوري الوجداني للشاعر ، وتعبر تعبيرا صادقا عن مشاعره وأحاسيسه ، والشاعر المجيد تتنوع عنده الموسيقا حسب الأغراض الشعرية ، كما أن الشاعر المطبوع لا يقصر وزنا على غرض معين ، بل يستطيع بمقدرته الفنية أن يستخدم الوزن الواحد في كثير من الأغراض الشعرية ، وأن يجعل الوزن ينسجم مع الفكرة التي يسوقها ويعبر عنها .

وما من شك في أن الإيقاع الموسيقي أو الوزن يساعد الشاعر في بناء مضمونه الشعري ، وانسياب مشاعره وأحاسيسه ، فيجب أن ينسجم

---

(٦) العمدة ٢٣٦/١ .

(٧) انظر الأصول الفنية الأدب للأستاذ/عبد الحميد حسن ص١٤٩ ط العلوم - القاهرة سنة ١٩٦٤ .

كل وزن أو بحر مع مضمون الشاعر ومعناه ، ولكن الوزن وحده ليس كافيا لاقامة الشعر ، وإنما يساعد الشاعر على تحديد الطريق أمامه ، وهو يختار الألفاظ ويؤلف بينها بما يوحى عن تجربته ويجلو مشاعره التى يعرضها فى شعره »(٨) .

وقد تكون الموسيقا فى الشعر خارجية تعتمد على الوزن والقافية أو على الجناس والازدواج وحسن التقسيم ، وقد تكون موسيقا الشعر خفية لا تدرك ولا تعرف فى سهولة ، ولكنها تصل إلى القلب فتجعله يخضع لسحرها وقوة تأثيرها(٩) .

ومن هنا فإن الموسيقا الشعرية تتفق مع إحساس الشاعر وحالته ولذلك فقد اختار شاعرنا « شندى » بحرا طويلا ممتدا يتناسب مع المعانى التى تحملها قصيدة « المعلم » تفصيلا ورحابة وإطنابا فى التعبير ، ودل على هذا كثرة حروف اللين التى شاعت بين ألفاظ القصيدة مثل « بأجناد ، وحيى ، ثياب ، العلياء ، الشكران ، قيام هوان ، شموخ ، الفنون ، الفضائل ، النفوس وهكذا فلا يخلو بيت من ثلاثة حروف على الأقل ، وهذا يؤكد مدى الانكسار والانحسار أمام هذا الصرح العظيم « المعلم » وإذا أضفت إلى هذا امتداد القافية ، حيث طال النفس فيها ، فاشتملت على حرفين الميم والألف وإن كانت الألف للاطلاق ، وإنك لتجد فى المطلع من التقسيم الموسيقى ما يهز

---

(٨) انظر قضايا النقد الأدبى الحديث د. محمد السعدى فرهود ص ١٣٤ ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ .

(٩) انظر - محاضرات فى الأدب الجاهلى د. عبد الحميد المسلوت ص ٦١ وما بعدها ط دار الطباعة المحمدية .

المشاعر ، ويحرك الوجدان ، ويفتح مغـالق النفس لتسـتقبل معانى القصيدة وهى متلهفة ، حتى نأتى على آخرها لذلك كان « شـندى » يتميز بحسن المطالع ، فاستهوى بذلك جمهوره وقراءه ، انظر إلى هـذا التقسيم فى المطلع فى قوله :

تقدم باحناء ـ وحى المعلما ـ يقابلها على نفس النسق والتقسيم الصوتى ـ وكبر وعظم ـ والقه متحشما •

رابعـا : عناصر التصوير الأدبى :

فى قصيدة « المعلم » لشاعرنا « شندى » نجد أن عناصر الصورة الأدبية أعطت للتصوير الأدبى جـدة وحيوية تحرك العاطفة وتأخـذ بمجامع القلب وتلاءمت مع الألفاظ والمعانى والصور والأخيلة مما يحقق فى القصيدة الوحـدة الفنية •

نعم تلاءمت عناصر التصوير مع المعانى السامية ولمسـة الوفاء التى يقدمها التليمذ للأستاذ فترى التهامس والصوت الخفيض وهـذا ما يحدث دائما أمام المربين وأصحاب المقام الرفيع وتخيل معى عزيزى القارىء الصورة الكاريكاتيرية تلميذ يتقدم منحنيا أمام شامخ عظيم كله جلال وعظمة وتساعد على ذلك الألفاظ الموحية المعبرة فترى الحـركة البطيئة التى تتناسب مع « تقدم باحناء » وهـذا هو الشـأن فى من يقدرون لأهل القدر قدره ، وكذا كثرة حروف اللين والشدات يصور لك مدى البطء فى الحركة والتناقل فيها وكل ما فى القصيدة يجعل معالم

الصـــورة مكتملة « حجما وشـــكلا وموقعـــا ولونا وحـــركة وطعما ورائحـــــة »(١٠) .

ولقد تفوق شاعرنا « شندى » برسم صوره الشعرية رسما يدل على مدى شاعريته الفـــذة وأخذ بناصية البلاغة والبيان ، فقد استطاع أن يرسم صورا فنية مجسمة ، ويبرز ويستوفى عناصرها ودقائقها حتى كأنه مصور بارع أو رسام مبدع ، بل يتفوق عليهما فى مجال التصوير إذ يعتمد فى صوره على عناصر الحركة والألوان والظـــلال ، فصوره نابضة بالحياة ناطقة بالحركة .

ولا شك فى أن الشاعر قـــد استطاع أن يرسم صـــورة مجسمة « للمعلم » واستوفى أجزاؤها ودقائقها فى مطلع القصيدة « تقـــدم بإحناء وحى المعلما » فجعلنا أمام تمثال للعظماء وكذا الصورة الأعظم فى الهابة قوله « وطف حوله كالبيت هيمان محـــرما » والصورة التى تنبض حيوية قوله : « وأقبل على الكف الطهور » فلقد اعتمد شـــاعرنا فى هـــذه الصورة الكلية على صور جزئية كما ترى واستطاع بهذا أن يجسم فى أذهاننا صورة المعلم وأن يوضحها فى صورة ملموسة تدل على شاعريته وإبداعه الفنى .

خامسا : المعـــانى فى القصـــيدة :

وأما المعانى فى قصيدة « شندى » فنراها واضحة قوية تتسابق إلى الذهن من غير كد أو طول تأمل ، ذلك لوضوح الفكرة عند الشاعر ،

---

(١٠) الصورة الأدبية ـ تأريخ ونقد ص ١٦٦ ـ ١٦٧ د. على على صبح عناصر الصورة الأدبية ط عيسى الحلبى ـ دار احياء الكتب .

وقد استمد معانيه من حقل التعليم وما يدور بين المعلم ومن يعلم •

والجدير بالذكر أن القصيدة قد دارت معانيها من أول بيت فيها حتى آخر بيت حول الموضوع من القصيدة فى توافق وترابط •

ولو نظرت إلى شرح معانى الأبيات لوجدت أن المعانى فيها واضحة ومتلائمة تسير فى اتجاه واحد حتى آخر القصيدة ، ثم ينتهى ليمدح رئيس الدولة القائم على التعليم حتى ينهى موضوعه بالربط بين المعلم الأول محمد ﷺ وبين معلم شاعرنا « عزت شندى موسى » •

وعلى هذا فقد تحققت فى القصيدة الوحدة الموضوعية لا العضوية ، لأنك لو قدمت بعض الأبيات على بعض ، أو أخرتها لما حدث خلل فى موضوع القصيدة فهى قائمة على استقلال الأبيات بعضها عن بعض مع التلاقى فى العرض فمن الممكن أن تقدم المقطع الثالث وأوله يقول :

ألا كل فذ فى البلاد ونابه
مدين لمن أعطى الدروس وأفهما

على المقطع الثانى الذى يقول فيه :

إذا الشعب لم يشكر مهذب نشئه
ولم يجزه لاقى الهوان المحتما

وهكذا فى كل المقاطع وهذا دليل على عدم الترابط العضوى مع أن الموضوع كله واحد والأبيات جميعها تدور حول غرض واحد وهو « المعلم » •

ولقد تميز شاعرنا « شندى » بابتكار المعانى ودقتها وعمق

التفكير واستقصاء المعانى وتحليلها تحليلا مبتكرا يدل على ثقافته الغزيرة .

ولقد كان هذا التجديد الذى ساقه شاعرنا فى الأفكار والمعانى دافعا له أن يبتكر فى الأساليب وأن يجدد فى الصياغة ، وأن يتعمق فى الخيال حتى يكتمل البناء الفنى للشعر ، وقد بلغ فى هذا المجال مبلغا عظيما من الاجادة والقوة للاتقان .

سادسا : التجربة الشعرية :

لقد كان وراء هذا الصدق الفنى وقوة التصوير وروعة التعبير ، عاطفة جياشة تجاه هذا المعلم الحانى الفاضل ، ومن هنا فقد استطاع شاعرنا « شندى » أن يؤثر فينا تأثيرا قويا ، وأن ينفذ إلى مشاعرنا وأحاسيسنا وقلوبنا وأن ننفعل بما قاله من شعر مؤثر بالغ التصوير رائع التعبير أصغ إليه وهو يقول :

حنين يهز القلب شوقا لعهده
ويا ليته ما قد مضى أو تصرما
لكم أتمنى أن تعود حداثتى
وأرجع تلميذا يعيد التعلما
ويبعث لى شرخ الشباب فأنثنى
أحج مجالى الدرس إذ عدت للحمى
وأرمق من قد غاب عنا ورسمه
مقيما مع الوحدان لحما وأعظما
أرانا وقد طاف الخيال بخاطرى
جلوسا إلى مغناه نبغى التفهما

يروح ويغـدو بيننـا فى كرامة
فنعجب هل فى القوم من كان أكرما

وهكذا من بداية القصيدة إلى نهايتها نلاحظ مدى الصدق العاطفى الذى يعتملُ فى وجدانه ، ومدى القدرة على تصوير عواطفه وانفعالات نفسه ، وما ذلك إلا لصدق التجربة الشعرية التى عاشـها وعانى من تأثيرها ، فعبر عنها تعبيرا صادقا ، وصور ما تنطوى عليه نفسه خـير تصوير •

ففى هـذا المجالُ نجد تجارب عاطفيـة ذاتية صـادقة تعبر عن وجدان ثائر وقلب مفعم بالحب ، وفؤاد متيم برح به الوجد •

ومن هنا نجـد هناكَ صعوبة مادية فى تقسيم العملُ الأدبى إلى عناصر اللفظ ، المعنى أو الشعور والتعبير • فالقيم الشعورية والقيم التعبيرية كلتاهما وحدة لا انفصام لها فى العمل الأدبى ، وليست القيمة الشعورية إلا ما استطاعت الألفاظ أن تصوره ، وأن تنقله إلى مشـاعر الآخـرين(١١) •

ذلك أن التجربة الشعورية فى العالم الشعورى مرحلة تسبق فى نفس صاحبها ثم يليها التعبير عنها فى صورة لفظية • أما فى العـالم الأدبى فلا وجود لهـذه التجربة قبلَ أن يعبر عنها فى هـذه الصورة اللفظية ، وإنها لتبقى مضمرة فى النفس ملكا خاصا لصاحبها ، فلا تعـد عملا أدبيـا له وجود خارجى إلا حين تأخذ صورتها اللفظية •

---

(١١) انظر : النقد الأدبى للأستاذ / سيد قطب ص ٢٠ ط دار الشروق القاهرة ١٩٨٣ •

إبراهيم طوقان والتعليم

ثم نأتى إلى زفرة وصيحة وصرخة « طوقان » التى تقطع نياط القلب على مكابدته لهذا العمل الشاق المضنى كما يزعم وعلى تصويره لحاله مع تلاميذه هذه الحالة التى يبسم لها ثغر الحزين فيقول وإليك عزيزى القارىء القصيدة مصورة من « الشاعر المعلم » .

الديـــوان(١٢) :

(شوقى) يقول : وما درى بمصيبتى :

« قم للمعلم وفه التبجيلا »

اقعد فديتك ، هل يكون مبجلا

من كان للنشء الصغار خليلا !

ويكاد (يفلقنى) الأمير بقوله :

كاد المعلم أن يكون رسولا !

لو جرب التعليم (شوقى) ساعة

لقضى الحياة شقاوة وخمولا

حسب المعلم غمة وكآبة

مرآى (الدفاتر) بكرة وأصيلا

مئة على مئة إذا هى صلحت

وجد العمى نحو العيون سبيلا

ولو أن فى « التصليح » نفعا يرتجى

وأبيك ، لم أك بالعيون بخيلا

---

(١٢) ديوان ابراهيم طوقان ـ سلسلة شعراؤنا رقم ٩ ص ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ دار صادر بيروت ـ دراسة تحليلية بقلم / عبد اللطيف شرارة

لكن أصـاح غلطـة نحـــوية
مثلا ، وأتخذ « الكتاب » دليـلا

مستشهدا بالغـر من آيـــاته
أو « بالحديث » مفصلا تفصيلا

وأغوص فى الشعر القديم فأنتقى
ما ليس ملتبسا ولا مبـــذولا

وأكاد أبعث (سيبويه) من البـلى
وذويه من أهل القرون الأولى

فأرى (حمـارا) بعـــد ذلك كله
رفع المضاف إليـه والمفعولا !!

يا من يريـد الانتحـار وجـدته
إن العـلم لا يعيش طـويلا

بين القيم الخلقية والفنية

وبعد فهذه القصيدة تعد صورة من حياة واقعية عاشها الشاعر وتعايش معها ، فكان لها أثرها العميق فى نفسه خاصه وانه على ما يبدو لنا انه كان جادا فى حياته حريصا على إفادة النشء وتعليمه مدركا ثقل المهمة المناطه بمن يقوم على تربية النشء الصغار ، ولذلك نراه يتناول فى بدء قصيدته مقوله « شوقى » التى بدا بها قصيدته فى هـذا المجال والتى بدأت بقوله : قم للمعلم وفه التبجيلا ...

فيعكس القضية تماما بهذه المعارضة الواضحة البادية فى أكثر من مشهد ويبين أنه ليس ثمة قيام أو تبجيل ، ومن ثم رد قائلا : أقعـد

ما اشتمل عليه البيت من احتراس جميل ماثل فى قوله « ويكاد يفلقنو

وهناك فرق بين معنى المقاربة « الشوقية » و « الطوقانية » .

ويعلل لعدم ارتياحه لمـا ذهب إليه « شـوقى » بأنه لم يجرب المعلم تعبا ومشقة وغمة واكتئابا رؤية « الدفاتر » صباحا ومساء مع المعلم تعبا ومشقة وعمة واكتئابا رؤية « الدفاتر » صباحا ومساء مع كثرة عددها ، وصعوبة تصويبها ، مع عدم ارتجاء النفع من وراء ذلك فهو يقوم بتصويب الأخطاء النحوية ، مستشهدا بالغر من آيات الذكر الحكيم ، والحديث النبوى الشريف ، غائصا فى درر الشعر القـديم منتقيا ما ليس ملتبسا ولا مبذولا ، ويكاد يبعث أعلام النحاة من أهـل القرون الأولى باحثا ومنقبا رجاء أن يجد من يصغى إليه ، ولكنـه مع

هـذا كله لا يرى إلا مخالفة لقواعد النحو المعلومة ، فهناك من يرفع المضاف إليه ، بلْ والمفعولَ كذلك .

ومن ثم حق له أن يصيح صيحته وأن لا يتعجب الناس من صنيعه هـذا بلْ حق له أن يقع ، فعلى الناس أن لا يتعجبوا من صنيعه هـذا قتيلا بين مقاعد التلاميذ « البنوك » ومن أجلْ هـذا وغيره من وجهة نظره « إن المعلم لا يعيش طويلا » لما يكابده من أعباء وأثقال ثقيلة إلى الانتحار ، ومن هنا كانت زفرته التى تتواءم مع رثاء أنه يرى :

ولم يأته ذلك الفضل من ناحيـــة الخـــلو من الغـــريب ، وتوخى الكلمات الخفيفة فحسب ، ولكنه جاءه كذلك من ناحيـــة الملكة الصناع الحاذقة فى إبراز المعنى فى أشف الألفاظ وأقرب الدلالات ، وتراه قـــد عمد إلى المعانى فى أيسر نواحيها ، والتمس لها طريق الأداء ، ما استغنى معناها العظيم بأقل لفظ وتراءى فى أسهل تعبير .

وتجربة شاعرنا « طوقان » هنا صـــادقة ، عاناها الشاعر ، وعبر عنها فى هـــذه الأبيات التى تصف حالته ، وما [illegible]

فلقد كان الشاعر واقعيا فى تجربه

المفعم بقوة ايمانه بـ[illegible]

غرض واحد وهو معاناة وحياة المعلم كما عاشها المعلم « طوقان » وكذلك نجد الوحدة العضوية بادية فيها حيث الترابط ووجود كل بيت مكانه ولا يصح التقديم ولا التأخير فيها .

هـذا وبالله التوفيـق ؟

صابر أحمد عبد الحافظ إبراهيم

مدرس الأدب والنقـد بكلية اللغة العربية